١ ـ كتاب نهج البلاغة

بقلم محمد محمد العزازى

ذلك الكتاب المنسوب إلى فارس الفصاحة وصيقل البلاغة وإمام الخطابة ، والضارب فى ميدان البيان بما لم يلحقه فيه لاحق ، ولا وصل إليه سابق . أمير المؤمنين على بن أبى طالب . كتاب نابه الشأن ، رفيع القدر ، بليغ الموعظة ، صادق الحكمة ، قد توفرت عليه سنين طوالاً أقرأ مابين دفتيه مرة وأخرى وثالثة حتى بدت لى فيه آراء أردت بها تحقيق أمره . والكشف عن سره . مستنداً فى بحثى الى ماهدتنى إليه الفكرة وطول المراس .. وجل الذى قيل فى الكتاب كلمات مجملة . لا تشفى غليلاً ولا تقوم دليلاً ، فالشيعة على أن الكتاب بجملته وتفصيله لأمير المؤمنين على ، والمنصفون من النقدة والنظار على أن فيه ماهو مدخول منحول بدعوى أنه يتعرض لبعض الصحابة بالطعن والتجريح ..

وهناك من يدعى أن الذى لعلى من القلة بحيث لا يصح أن ينسب الكتاب إليه . وعلى كل فهذه كلمات ـ كما قلنا ـ مجملة لاتشبع الباحث . ولا توقف الناظر عند حد أو تلزمه رأياً . وهذا ما يدعونا ألى بحث المسألة على ضوء العلم والأدب والحقيقة والتاريخ . والكتاب فى جملته عالى الأسلوب فخم العبارة صقيل الديباجة ، لطيف الروح يتحدر إلى النفس بسهولة . والذى يدور عليه الكلام فى الكتاب كما يقول الرضى « أقطاب ثلاثة أولها الخطب والأوامر ، وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ » وهذا تقسيم حسن ، والمعقول ألا يخرج كلام أمير المؤمنين عن هذا . . فأمير المؤمنين أحد رجالات الاسلام غير مدافع . وله فى الفصاحة والشجاعة والفضل والنبل يد طولى . بايع أبا بكر نزولاً على حكم الأجماع . ورضى بعمر نزولاً على اختيار أبى بكر ، وأخطأته الشورى بعد ابن الخطاب ، ثم انتهت اليه بعد عثمان . فكان أمير المؤمنين أربع سنين وتسعة أشهر أخذ يصلح فيها مايراه فاسداً ويجمع كلمة المسلمين ويلم شعثهم . وقد نقض بعض الصحابة بيعته فكانت حروب . انتهى بعدها الحكم إلى معاوية بعد تنازل الحسن . فكل هذا يدعو أمير المؤمنين إلى الخطب فى شأنه . وفى صلاح المسلمين وفى رجال جيشه . يحثهم على الأخذ بحقهم ، ويستنفرهم للقاء عدوهم وإلى الأوامر يصدرها إلى عماله ورجاله وأعوانه . وإلى الكتب والرسائل يبعث بها إلى الثغور والعمال ، بل وتجرى بينه وبين معارضيه ، كل يؤيد رأيه ويقيم حجته ويدعى الحق فى جهته والباطل فى جهة صاحبه . أما الحكم والمواعظ فأشياء كانت فى نفس على غرسها فيها حب الصلاح للناس يلقيها عليهم يبين لهم طريق الهدى ومنارة الحق ويذكرهم بالله ويفهمهم المعاش والمعاد ، مما يدل على اخلاص على وطيبة نفسه وسمو روحه وكرم أخلاقه وقوة ايمانه وحبه للمسلمين . . .

ولكن الذى يعنينا هو : هل كل مافى الكتاب من خطب وأوامر وكتب ورسائل وحكم ومواعظ لأمير المؤمنين على . ؟ أم أن فيه ماليس له .. نريد أن نعرض أمام القارى صوراً مختلفة من الكتاب نشرحها له تشريحاً دقيقاً ثم نخرج على ما يهدينا إليه البحث . وليكن أول ما نعمل فيه المبضع الخطبة الأولى من الكتاب التى يقول الرضى فى عنوانها إنها خطبة يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم ، وعبارات هذه الخطبة منسجمة سيالة آخذة بعضها

« وجود جمعية الأمم خير من عدمه » . وقد فاتهم أن البدء الخاطئ أسوأ من عدمه .

فى العشر سنين التى تلت الحرب العالمية لم تكن أفكار مجددة فى السياسة العالمية يؤبه لها ، ولم يرجع البشر الى بحث توحيد العالم ، إلا بعد أن ثبت لهم ثبوتاً لا شك فيه عدم صلاحية جمعية الأمم للغرض الذى كونت من أجله .

ظلت حركة « الحكومة العالمية » فى الاثنتى عشرة سنة التى تلت تلوح وتختفى . وكان من الضرورى أن تتوحد جهود محبى السلام والشيوعيين والاشتراكيين ، وكل من سار على نهجهم من الذين حاولوا حل المعضلات الاجتماعية ، وكانوا لا يزالون يقضون أوقاتهم فى مناضلة بعضهم وفى التراشق بالتهم .

وعلى كل فقد انقضى منتصف القرن العشرين قبل أن يتسع نطاق الدعاية فى العالم « للحكومة الحديثة » .

نابلس

عبد القادر صالح

بحجز بعض . وهى مبتدأة بتحميد بديع يعقبه تنزيه لله عما لا يليق به ، وكلام فى معرفته مترتب على بعضه على مثال القضايا المنطقية ، ثم ذكر للخلق من ابتدائه إلى انتهائه على مثال ما فى الكتب المقدسة ، وذكر لخلق آدم ومعصيته وخروجه من الجنة . وذكر لذريته فى الأرض ، وكلام عن الأنبياء من أبنائه حتى انتهى إلى محمد وبعثه ؛ والقانون السماوى الذى نزل به ، وخص من ذلك الحق ، فتكلم فيه كلاماً كثيراً . ولو نظرنا إلى هذه الخطبة لوجدنا أسلوبها أقرب إلى الأسلوب التأليفى منه إلى الأسلوب الخطابى ، فهى خاليــة من الاندفاعات الخطابية ، ويظهر على عباراتها أنها وليدة التفكير ، فترتب العبارات على بعضها ترتباً مطرداً على مقتضى قوانين المنطق ممـا لا يتيسر فى الخطابة ولا يتأتى فى الارتجال ، وما كان على ليخطب غير مرتجل ، والتحميد الذى فى أولها (الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون . ولا يحصى نعماءه العادُّون ، ولا يؤدى حقه المجتهدون ، الذى لا يدركه بعد الهمم ولا غوص الفطن . الخ .)

هذا التحميد أشبه بالتحاميد التى تبتدأ بها الـكتب . وهو يخالف التحاميد فى صدر الأسلام . وهو ملحق بتنزيهات كالتى تلحق التحاميد فى العصر العباسى حتى ان فى العصر العباسى ما يوافقه فى المعنى ويكاد يشبهه فى اللفظ ، ويجرى معه فى النسق والترتيب والروح ، مما يجعلنا نرجح أنه من تحاميد ذلك العصر التى منها (الحمد لله المتعالى عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكييف الناعتين . يوصف لا بالعرض والطول ، وينعت بغير الشبح الممثول . ويحد لا بالخلق المعدود ، والجسم الموجود ، بل يتناهى من وصفه ، الى ما دل عليه من صنعه ، ويوقف من نعته ، على ما أخبر به عن نفسه . وكيف يوصف من لم يره أحد ، أو يحد من لم يحده بلد ، أو يشبه غير ذى أعضاء ، أو يكيف غير ذى أجزاء . لو رئى لوصف ، ولو وصف لمثل ، ولو مثل لـكان له نظير الخ)[1] فكل هذه التنزيهات من منع التحديد والرؤية ، ونفى الصفات على نسق واحد فى التحميدين . مما يجعلنا لا نشك فى أنها وليدة عصر واحد ، ونشك فى أنها وليدة عصرين ، ثم لو قارنا هذا التحميد بتحميدات أمير المؤمنين التى يهدينا البحث الى أنها له .. لوجدنا بوناً شاسعاً فى المعنى والاسلوب والروح مما يظهر منه أن القائل غير واحد . . . ثم لنا نظرة فى هذه التنزيهات وهى قوله فى صفة الله (الذى لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن ، الذى ليس لصفته حد محدود . ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل محدود ... أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به . وكمال التصديق به توحيده . وكمال توحيده الأخلاص له ، وكمال الأخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة . فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه . ومن قرنه فقد ثناه . ومن ثناه فقد جزاه . ومن جزاه فقد جهله . ومن جهله فقد أشار اليه . ومن أشار اليه فقد حده . ومن حده فقد عده . ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد أخلى منه) . . هذه التنزيهات تجرى على نسق بديع من البيان والمنطق وكلها عقائد كلية فى علم الـكلام .

وأهم مايطالع الباحث فيها شيئان : هما المحور الذى تدور عليه . والغرض الذى صيغت من أجله هما منع رؤية الله ونفى الصفات . فمنع الرؤية يؤخذ من العبارات الأولى ، لأن الأدراك قد نفى ، والرؤية أحد الأدرا كات ، ولأنهـا تقتضى تكييفا وقد دلل على بطلان التكييف . ولذلك نرى ابن أبى الحديد عند شرحه لهذا الـكلام يطنطن فى هذه المسألة ، ويدلل عليها بأدلة المعتزلة ، ويرد على الأشاعرة رداً قوياً ومعقولاً . وأما نفى الصفات فقد جاء صريحاً فى قوله . « وكمال الأخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » .. ونفى الصفات كلام جرى بين علماء الـكلام وأخذ به المعتزلة — واحتدم فيه النزاع والجدال بينهم وبين الأشاعرة . والمعتزلة ينفون الصفات بدعوى أنها تثبت تعدد القدماء ، وأنه لابد من تغاير بين الصفة والموصوف ، وأن الموصوف يسبق الصفة ، ولذلك يحرجون الأشاعرة فيسألونهم عن كيفية قيام الصفات بالذات ان كانت زائدة عنها . والذى يعنينا من هذا الـكلام أن مسألة الرؤية ومسألة نفى الصفات لم تنشآ إلا بعد نشوء مذهب الاعتزال ، وإلا بعد أن اختلف واصل بن عطاء واستاذه الحسن البصرى فى مسـألة الاختيار ومسألة مرتكب الـكبيرة إن لم يتب . فلم يكن لهذه المسائل أثر فى زمن على . ولم يكن لعلى أو الناس وقت يخلون فيه إلى نفوسهم ويفكرون فى مثل هذه الاشياء . . وليس عندهم مايدعوهم إلى التفكير فى هذه الاشياء . وإنما كانوا فى زمن الرسول والخليفتين من بعده يفكرون فى الفتوح وفى انهاض الدين الجـديد

(١) عصر المأمون ج ٣ ص ١٥١

وأغلب الخلاف كان فى فروع الأحكام لا فى أصول العقائد . (١)
وفى زمن الخليفة الثالث حصلت فتن سياسية أفضت الى قتله . ولم تكن هذه الفتن لتترك الناس يفكرون فى مثل هذه العقائد ، وفى زمن على قام الخلاف بين أمير المؤمنين وبين ناقضى بيعته فاشتعلت به نار الحرب وانتهى الأمر إلى الأمويين . وحصل بهذا الانقسام خلاف جديد لا فى الاشياء التى نحن بصددها وإنما فى شىء آخر هو الامامة ، انقسم الناس به إلى شيعة وخوارج ومعتدلين . .

فالمعقول إذن والمعروف من التاريخ السياسى وتاريخ علم الكلام أن هذه العقائد جاءت متأخرة عن على وزمن على وأنها نشأت بعد نشوء مذهب الاعتزال وصارت من مسائله وكلياته . . .

فالدليل ناهض والحجة ناصعة على أن علياً لم يقل هذه العبارات ولانشأت فى عصره . . وربما كان الرضى قائلها . أو أنها وقعت للرضى منسوبة للأمام فالحقها بالكتاب

وبنظرة فى هذه العبارات نجدها عبارات تأليفية محضة ، فعبارة (نفى الصفات) وعبارة (لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف الخ) هى بعينها الجارية على ألسنة المؤلفين والباحثين فى علم الكلام حتى أن ابن أبى الحديد يقول عند العبارة الأخيرة هذا دليل المعتزلة بعينه . . ويظهر على هذه العبارات بأجمعها أنها جاءت وليدة جدل وبحث ، وأن فيها تكلفاً محسوساً جاء من إقامة الدليل المنطقى ومن قرع الحجة بأختها مما يشهد على أن هذا الكلام من أحد المتحمسين لهذا المذهب . والمنافحين عنه وأنه حدث بعد احتدام الجدل بين الفريقين ؟

« يتبع » — أبو حماد

محمد محمد الغزالى

(١) رسالة التوحيد . والملل والنحل

الرسالة فى شهور الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة الى قرائها مدة العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهرى بواقع أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

العلم الحديث ينصف العرب

العصور المظلمة

تسمية تاريخية خاطئة

للأستاذ بشير الشريقى

هذا هو الموضوع الطريف الذى أثاره فى هذه الأيام الدكتور جورج سارتون أستاذ علم التاريخ فى جامعة وشنطون ، وانى أنقله فيما يلى كما لخصته مجلة « أخبار العلم Sciernce News » فى عددها ٦٧٤ سنة ١٩٣٤

« ليعلم المؤرخون المعاصرون بأن « العصور المظلمة » لم توجد حقيقة ؛ من الجائز أن غربى أوربا قد عانى المتاعب خلال القرن السادس حتى العاشر الميلادى من جراء تراجع الثقافة الرومانية التى لم ينعم بها غربى أوربا الاّ زمناً قليلاً ؛ وان المشعل الرومانى قد همد تحت أقدام البرابرة المهاجمين ؛ ولكن نور الثقافة لم يخمد أبداً فى الأرض التى تطل على شرق البحر الأبيض المتوسط ، والتى هى الوطن الحقيق والطبيعى لما نسميه خطأ «بالمدنية الغربية»

لقد انتقل مصباح الثقافة الدرى من أيدى اليونان البيزنطيين إلى أيدى العرب الفاتحين المؤمنين بالله وبمحمد ، وكان فى أيديهم أكثر تألقاً وبهاء .

إن سبب اضطراب آراء مؤرخى القرون الوسطى هو أنهم وان كانوا يجيدون اللغة اللاّتينية ، فقد كانوا يجهلون اللغة العربية جهلاً تاماً ، على حين كان كل تقدم فى العلم والثقافة ، يسجل منذ عهد محمد حتى منتصف القرن الثانى عشر باللغة العربية .

ولكن هذا لا يعنى بأن مدنية الاسلام المشرقة التى امتدت من قلب الهند حتى منتهى غربى أسبانيا المتوحش كانت من عمل الفاتحين فحسب ؛ يقول الدكتور سارتون ، إن العرب أول من نزلوا الميدان أسياداً للعالم ، لم يكونوا أحسن ثقافة من قبائل الهند الغربية ، ولكنهم كانوا ذوى أهبة ممتازة فاقتبسوا بسرعة عجيبة كل ما يمكن اقتباسه من مدنية البيزنطيين ، واستطاعوا فى خلال جيلين اثنين فقط أن يرتقوا فى العلم منزلة لم يرتق إليها أحد

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]